العدد (1886) السنة الثامنة - الاحد (22) آب 2010 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

رمضان في الجيل الماضي

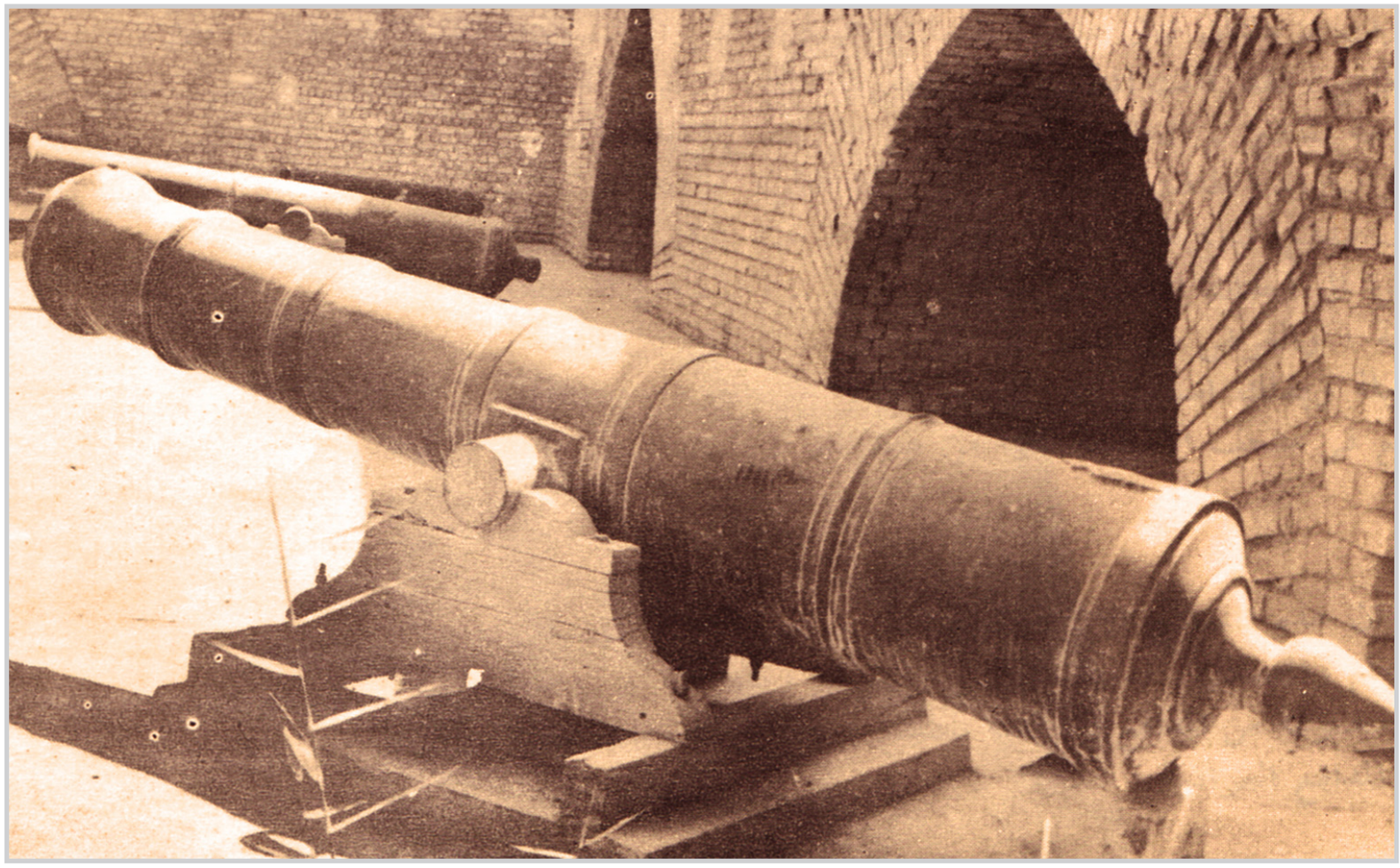

جعفر الخليلي

كان لرمضان وقع كبير في نفوس المسلمين وكان الإقبال على الصوم مشهوداً في جميع المدن والقرى والبيوت حتى لقد يتحمل أحدهم الوزر الكبير ويجرم ولا يفطر شهر رمضان وقد يرضى البعض بأن يفتك به المرض وتنزل به النوازل ولا يكون من المفطرين وذلك لئلا يحرم من المثوبة التي خص بها هذا الشهر والذي قال عنه الله في محكم كتابه:

(شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان).

وكان من حب الناس لشهر الصيام وتقديسهم له أن راحوا يسمون أولادهم باسمه فكان عدد الذين سموا باسم (رمضان) كبيرا في الجيل الماضي ولعل هناك للآن من يسمي أولاده برمضان تيمنا بشهر الطاعة وشهر البركة وشهر الله المبارك كما كانوا يسمونه ولربما حملت موجة الإقبال على الصيام طائفة من الأطفال أن يتصدوا للصوم قبل بلوغهم سن الرشد وكانوا يلاقون من والديهم وذويهم التشجيع الكافي على قيامهم بأداء هذه الفريضة وان جاءت قبل أوانها أما الذين يحاولون القيام بصوم الشهر أو بعض أيام الشهر من الأطفال الذين لا يطيقون صومه فلا يصدهم أهلهم عن ذلك وإنما يدخلون في أذهانهم بأن لهم أن يصوموا صوم الأطفال ويقولوا لهم بأن صوم الاطفال يختلف عن صوم الكبار فالاطفال يجب ان يصوموا (درجات) ومعنى الدرجات هو ان يتناول الطفل فطوره صباحا ثم يصوم الى الظهر ويفطر على ان يصوم بعد ذلك الى الغروب... وكان الكثير من هؤلاء الاطفال يعتقدون بصحة صوم (الدرجات) وخصوصا الأطفال الذيم لم تنم فيهم بعد قابلية الاستنتاج والاستنباط والذين لم يزالوا صغارا.

ولقد كان ينطلى عليهم الامر بحيث لا يقنع الطفل بتفنيد أترابه . الذين لم ينطل عليهم الأمر . لمثل هذا الصوم وإني لأذكر طفلاً كان معتقداً بصحة صوم الدرجات فكان برهانه على هذه الصحة ان أباه أيضاً كان يصوم كصومه درجات فيفطر صباحا.. ويفطر غروبا.. ومن هنا عرفنا أن الأب لم يصم شهر رمضان فتذرع أمام أبنه بأنه هو الآخر يصوم صوم الدرجات ولم يزل الأولاد بذلك الصبى حتى أقنعوه بان صوم الدرجات صوم باطل وحتى ولو كان صحيحا لما جاز لأبيه أن يصوم درجات ما دام رجلا وليس بطفل.

××××

وقبل حلول شهر رمضان وفي شهر شعبان يعد المسلمون عدتهم للصيام بأن يبعثوا بأوانيهم النحاسية الى المبيض لتبييضها ويشرعوا بتجهيز البيت بما يلزم من سكر وشاي ورز وطحين وحبوب وما قد تمس الحاجة إليه على قدر استطاعته ثم يصعد المؤذنون في كثير من مدن العراق المآذن قبل صلاة العشاء للترحيب بشهر رمضان قبل حلوله بأيام قليلة مرحبين به على هذا النحو:

(مرحبا بك يا شهر رمضان المبارك مرحبا يا شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن). ويرسلونها بنغمة ممدودة وعلى طريقة (المقام).

وقد تقرأ في كلمات الترحيب من فوق المنابر آيات من القرآن الكريم على تلك الشاكلة من الترتيل لا تخرج عن حدود هذه الآيات:

(يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون).

أو تقرأ الآية الكريمة:

(شهر رمضان... الخ).

وعلى وتيرة الترحيب نفسها.

وفي آخر يوم من شهر شعبان يتطلع الناس فوق السطوح ومن على المنابر والمرتفعات الى الأفق بحثا عن الهلال وكثيرا ما يقع الاختلاف في الرؤية لعدم وضوح الهلال جيدا فتستحيل نعمة هذا الشهر الى نقمة لما يصيب طوائف المسلمين من اختلاف يضيع معها فضل هذا الشهر.

ومنذ أول ليلة من شهر رمضان تفتح المساجد أبوابها للمصلين وللداعين والمستغفرين ويرقى الوعاظ المنابر فيعظون ويدعون للصلاح وتتسع حركة الدواوين التي تفتح ابوابها للناس بقصد السمر ويطيل الناس السهر على أكبر قدر ممكن لكي يقتلوا بدله وقتا من النهار بالنوم.

وينشغل الناس ليلا بالصلاة وتلاوة القرآن وقراءة الادعية ثم القيام بالزيارات إذ ينكر التزاور في رمضان وتعمل هذه الزيارات عملها في معالجة بعض الاحقاد والضغائن وإعادة الصفاء الى بعض النفوس فلا ينتهي رمضان إلا ويكون قد زال كل شيء مما كان قد تسرب في النفوس من الضغائن بسبب تلك الزيارات المتبادلة.

وعند السحر وفي الوقت الذي يجب ان يستيقظ من لم يستيقظ ليعد طعام السحور يطوف حملة الطبول في أغلب شوارع المدن وهم يقرعون الطبول والمنادي منهم ينادي:

(اكعدوا ... الساعة بالسبعة وربع (مثلا) أكعدوا...)

أما في بغداد وحيث تتيسر المدافع فينظم الى جانب الطبول صوت المدفع للتنبيه.

وحين يتم تناول طعام السحور يصعد المؤذنون فوق المنابر ومن هنالك يبدؤون بترتيل المقدمات التي تسبق الأذان وقد يعمد البعض منهم في بعض المدن فيصيح من باب الاحتياط والتحذير بقرب حلول الفجر يصيح من فوق المنارة بأعلى صوته قائلا:.

. لا تشرب .....

ويكررها مرات ثم يهتف بعد ذلك ببضع دقائق مؤذنا:. الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر.

وكان لجارنا ولد دعوب كثيرا ما كان يخلط الجد بالهزل وكان بيتنا قريبا من منارة الحرم التي كانت تعد أعلى مرتفع في البلد والتي كان يصل منها الصوت الى اقصى اطراف المدينة، وذات ليلة والمؤذن ينادي بأعلى صوته:.

. لا تشرب... لا تشرب ... (منبها الى قرب حلول الفجر) صاح أبن جارنا بأعلى صوته من سطح بيتهم:.

.سأشرب ... سأشرب...

وعلى الرغم من انه لم يسمع احد صوت هذا الولد ألا البيوت المجاورة للمأذنة وألا المؤذن نفسه فقد ثار غضب المؤذن ولم يحس المصغون والمنتبهون إلا وقد اخذ الغضب من المؤذن ما اخذه حتى انساه موضعه ومكانته وما ينبغي أن يقول على المأذنة وما لا ينبغي ان يقول فإذا بصوته الجهوري العالي الرنان يدوي في الأذان من فوق تلك المنارة جوابا لذلك الولد قائلا:.

.....

أما البعيدون فلم يعرفوا لغلطة المؤذن سببا لانهم لم يسمعوا صوت الولد ولأنهم لم يدروا بان هذه الغلطة من المؤذن كانت بمثابة الجواب لذلك الولد الوقح.

ومات المؤذن بعد ذلك ببضع سنين وهو في خجل من الناس لما بدر منه.

وللصوم في القرى وعند القبائل أهمية أكبر من الصيام فقد يرضى الكثير من سكان الارياف ان يتركوا الصلاة ابد الدهر ولا يرضون بان يتركوا الصيام يوما واحدا.

وكان عدد من أهل الدينا في الجيل الماضي من الذين يركضون وراء ملذاتهم المشروعة وغير المشروعة كانوا يتركون كل شيء في شهر رمضان ويتوجهون الى الله فلا خمر ولا ميسر ولا نساء ولا غيرها، ولعل قسما من اللصوص واكلة السحت كانوا يتجنبون هم الآخرون موبقاتهم طوال ايام هذا الشهر تقديسا واحتراما وما هذه الابيات التي كان يتناولها الجيل الماضي في الغناء والتي جاءت على صورة استفتاء إلا حكاية من حكايات اولئك الذين كانوا يحجرون على لذاتهم وشهواتهم في ايام هذا الشهر.

ويقول الشاعر على لسان أولئك مستفتيا:.

هذا رمضان كلنا نخشاه ما قولك يا فقيه في فتواه من بات معانقا لم يهواه هل يفطر (عندما يقبل) فاه؟

ويجيب الشاعر على لسان الفقيه جوابا يدخل به السرور على أولئك المترهبين في شهر رمضان والذين لولا هذا الشهر ولولا التزامهم لحرمته لاطلقوا لأنفسهم الحرية بان تأخذ ما تريد من كل مشروع وغير مشروع يقول الشاعر في جوابه:.

يا من سأل الفقيه عن فتواه انصت لجوابنا وخذ معناه من بات معانقا لم يهواه لا يفطر (عندما) يقبل فاه.

وقد سارت هذه الأغنية على كل فن وشطرت وذيلت ولحنت بألحان مختلفة أما الذين كان على لسان حالهم البيت التالي وغيره:.

رمضان ولى هاتها يا ساقي مشتاقة تسعى الى مشتاق

فقد كان غير قليلين في الجيل الماضي أيضاً وكان الجو الذي يخلفه رمضان جوا لا يستطيع فيه الشخص ان يتظاهر بالافطار فإذا ما جاهر أحد بإفطاره فأنه يلاقي من مطاردة الاطفال وتنديدهم وتشهيرهم به اضعاف ما يلاقي من الكبار لذلك لم يجرؤ حتى المعذور بالمعذرة الشرعية أن يأكل شيئا أو يدخن سيجارة أمام أحد ولعل عدد السائمين البرمين المفطرين شهر رمضان قد كان هو الآخر غير قليل ومثل هؤلاء كانوا يضطرون الى التخفي في افطارهم لرمضان حتى عن اهلهم وعن اقرب الناس اليهم لما قد يرافقهم من احتقار وذم إذا ما انكشف أمرهم ولقد ورد في النوادر أن ولدا سمع صوت فم يلوك ولقمة تمضغ وراء إحدى الحجرات المظلمة من ظهر يوم ايام رمضان فصاح :.

.من هناك؟ (وقد حسبه لصا)

فقال المامضغ . أنا أبوك الشقي يأكل خبزه ويخاف من الناس.....

وهناك نوع آخر من البرمين او المتضايقين من رمضان وان كانوا من المتدينين وقد قيل ان رجلا من مثل هؤلاء استهل من المستهلين حتى إذا رأى هلال رمضان قال:.

.لقد هللت.. والله لاطعنك بالاسفار .

ومع كل ذلك فللصائمين وغير الصائمين انسهم وسمرهم ولذتهم في هذا الشهر الذي كانت تكثر فيه انواع المآكل والمشارب والملاعب.

ومن أهم المآكل التي خص بها رمضان أكثر من غيره من الشهور هي (الفرني) المعروف (المحلبي) أو المهلبي نسبة الى المهلب على ما يقال والزلابية، والحلاوة،والبقلاوة التي كانت مقتصرة في السابق على رمضان غالبا فعمت اليوم جميع الشهور والايام وجميع انواع المأكولات التي يسرف الصائمون في إعدادها حتى إذا صار وقت الفطور تناولوا أول لقمة ويستحب أن تكون من الرطب والتمر وقرأوا:.

(اللهم لك صمنا وعلى رزقك افطرنا فتقبل منا أنك أنت السميع العليم).

وأن المتهربين من الصيام كانوا يجدون في هذه المآكل متعة ولذة لا تعادلها لذائذ الشهور الأخرى هذا الى جانب حلاوة السمر التي خصت بها ليالي رمضان ولعبة (المحيبس) وهي ضم الخاتم في قبضة يد أحدهم والتفرس في وجوه عدد من اللاعبين لمعرفة حامل الخاتم بين ذلك الجمع فيسمع المار في بعض الشوارع أصوات اللاعبين في بعض الدور مجلجلة:.

(ألعب على هالايدين... وهالايدين... وهالعظم... وهالعظم...الخ) وغير ذلك من الألعاب.

وهنالك متعة أخرى في شهر رمضان وهي متعة (الماجينة) ويوم الماجينة هو اليوم الخامس عشر من شهر رمضان في عدد من مدن العراق يقابله اليوم الخامس عشر من شعبان في المدن الأخرى وفي اليوم المذكور من شعبان او من رمضان يطوف جمع من الأطفال بالبيوت وينشدون اناشيد يختلف بعضها عن البعض الاخر فالذي ينشد في بغداد غير الذي ينشد في الموصل والبصرة.

وفي الليلة الخامسة عشرة من رمضان يطوف الطائفون من الصبيان والصبيات في الفرات الأوسط وقد حملوا على رقابهم اكياسا صغيرة يطوفون بها على الابواب وهم يطرقونها وينشدون:.

(لولا (فلان) ما جينه).

وهم يوردون اسم الولد العزيز من ذلك البيت إذا عرفوا وإلا فهم يجعلون مكانه (فلانا) ويمضون منشدين:.

لولا فلان ما جينه
حلو الجيس ونطونة
يا أم فلان لا تبخلين
وعطيج سبع بنين
والبنين مكملين متممين.... الخ

فإذا ابطأ عليهم ورد الجواب صاحوا:.

مدي أيدج مدي أيدج
الله يخلي وليدج

ثم إذا تأخر الجواب صاحوا معا:.

يا أهل السطوح
تنطونة لو نروح؟

وهناك أما أن يفتح الباب ويعطونهم شيئاً من الزبيب واللوز والكعك كما هي العادة ويقولون لهم:.

روحوا

ويسدون الأذهان إيمان بأن جميع قوى الشر وعلى الأخص جميع فعاليات الجن والشياطين تحبس في رمضان فلا يستطيع جني ان يلحق بأنسي شراً وأن المسلم المؤمن ينبغي أن لا يخاف الشياطين والجن لذلك كان الجبناء في الجيل الماضي يخطرون في ليالي رمضان جائلين في كل مكان بدون خوف أو وجل وكان الذي يزيد الاطمئنان وزوال الخوف من نفوسهم هو ان المدن تسعى في ليالي رمضان وكأنها في الظهيرة لكثرة المصابيح والاضوية والأنوار الساطعة وكثرة المارين في الشوارع والطرقات فما كان يجيئ رمضان ألا ويشيع في النفوس شيء كثير من البهجة والسرور والمتع بالمآكل والمشارب والملاهي البريئة إلى جانب تلك الدعوات والصلوات والابتهالات المتصاعدة الى الله من أعماق النفوس.

هذه المقالة للكاتب الراحل جعفر الخليلي عن مجلة التراث الشعبي ايلول ١٩٦٣

رمضان الأمس

تجوال في مضايف (عفك)

باسم عبد الحميد حمودي

(عفك) قضاء عراقي يبعد عن مركز لواء الديوانية ب٣٤ كيلو متراً جنوبا ويمر بعفك فرع نهر الفرات الشمالي الذي يسمّى فرع الدغارة حيث ينقسم الفرات شمال الدغارة بحوالي الثلاثين كيلو متراً حيث يذهب فرع الى مدن الدغارة-سومر -عفك - آل بدير ثم يضيع ما تبقى من النهر في شاخات وحقول ، فيما يذهب الفرع الثاني الى الشاميّة وعدد من المدن ليصل السماوة بعد هذا .

كل هذه المدن (والمزارع التي بينها) ترتفع فيها أبنية الدواوين لسراة القوم حيث يجتمع هؤلاءباعمامهم واخوتهم وابناء منطقتهم للسمر والعمل في الشان العام أن تطلب الامر حتى أن مدينة (الديوانية) التي أسستها قبيلة خزاعة اسندت تسميتها الى الديوان وهو المضيف دون شك ولكنه مضيف مدني ولو كان في الريف لصنع على شكل شبّات وسمي مضيفا

و(عفك) على سماحة أهلها وعذوبة لقائهم وكرم ضيافتهم اشتهرت بدواوينها التي تفتح باستمرار في رمضان المبارك وغيره من الاشهر للقريب والزائر، حيث تقام الاماسي والسهرات، وتقدم الموعظة الدينية في أوقاتها المحددة.

من اشهر الدواوين قديمافي (عفك) ديوان السيد رسول الشرع (ابو حمادي) وديوان الحاج محسن الجناحي (والد عبد الآله ومحيي وجبار) وديوان الحاج عبد الامير العلي الرضي وديوان السيد يحيى السيد داود (ابو علي) وديوان السيدطالب الشرع (ابو مضر) وديوان اسرة الرحيم وعميدها الشيخ مهدي الرحيم (والد د. عبد الحسين وصالح)و شقيقه د . أحمد حسن الرحيم التربوي المعروف واستاذ علم النفس .

من الدواوين الاخرى المهمة في عفك الامس ديوان وتّاس الحاج محسن وديوان السيد فخر الدين العاملي ، وهو سيد كثير التقوى ذو مهابة وثقافة وأنفتاح على الآخر ، وقدكان وكيلا للسيد محسن الحكيم في المدينة ، لكن مجلسه الرمضاني كان حاشدا يحضره كثيرون من طبقات وأصناف شتى ، فذا أنتهى المجلس الرمضاني العام أنصرف السيد فخر الدين الى خلصائه وضيوفه ومنهم الشيوعي والاسلامي والقومي حيث يدور الحديث علانية في السياسة والادب وتناقش المسائل الدينية بحرية لاتألفها المنطقة ولا كتاب التقارير الامنية الذين استطاعوا جلاء السيد فخر الدين لاعن عفك وحدها بل عن كل العراق ، الى بلده الأول ، لبنان وافتقدت عفك بهذا مجلسا حيويا في رمضان وسواه.

وبقدر ما كانت مضايف ودواوين السادة آل الشرع تقليدية موقرة وقرة ، كانت الروح العصرية من نصيب ديوان السيد يحيى آل داود وديوان الحاج محسن الجناحي الذي يحضره مثقفو المدينة وشخصياتها وكبارموظفيها ، ولا يطرح في الديوان سوى الموضوعات الثقافية والاقتصادية وشؤون عشائر المنطقة.

هذه بعض الذكريات عن عفك ودواوينها في رمضان الامس القريب والبعيد.

مطبخ رمضان

اطباق الحساء

يعتبر الحساء من اهم الاطباق على مائدة رمضان ... فبعد الصيام ساعات طويلة نحتاج للحساء لتدفئة المعدة وحثها على البدء فى العمل بصورة يسيرة ...

فلا نفاجىء المعدة بالاكلات الدسمة الثقيلة فى البداية لذا كان هذا الطبق ضرورياً جدا واليكم انواع مختلفة من الحساء ...:

حساء الخضروات :

المقادير

٣ ك طماطم مقشرة
١ ك كوسه مكعبات
٢ ك حمص معلب
١ ك فاصوليا حمراء
١ ك ذرة
١ ك كرفس مكعبات
½ ك بصل مكعبات
½ ك معكرونة
ماء
١ فص ثوم

الطريقة

هرس الطماطم في قدر على النار.
إضافة جميع المقادير عدا الجبنة وتركه على النار حتى ينضج.
إضافة جبنة البارمازان قبل التقديم.
ملاحظة:
م/ك تعني (ملعقة كبيرة)
م/ص تعني (ملعقة صغيرة)

حساء خضار: المقادير

خضار على الطريقة الإيطالية:

٢ م/ك زيت زيتون
½ ك بصل مقطع قطعاً صغيرة
٢ ك كرفس مقطع قطعاً صغيرة
¼ ك كُرّات مغسول مقطع قطعاً صغيرة
½ ك جزر مقطع قطعاً صغيرة
٦ فص ثوم مفروم
½ ك كرنب (ملفوف) مقطع قطعاً صغيرة
½ ك بطاطس مقشرة ومقطعة مكعبات صغيرة
٤ طماطم متوسطة مقشرة ومقطعة مكعبات
½ ك كوسا مكعبات صغيرة
١ ك حمص مسلوق أو معلب أو فاصوليا بيضاء مسلوقة
٨ ك مرق لحم
٢ م/ك بقدونس مفري
ملح وفلفل
قليل من جوز الطيب المطحون

الطريقة

– يوضع زيت الزيتون على نار متوسطة ثم يطهى البصل والكرفس والكُرّاث والجزر والثوم والكرنب والبطاطس والطماطم مع مراعاة أن تُقلّب المحتويات جيدا حتى لا يطهى نوع من الخضار أكثر من الآخر وكذلك يراعي تفاوت وضع الخضار بحيث توضع تدريجياً مع الاستمرار في التقليب.

– عندما يذبل الخضار قليلاً تضاف الكوسة والحمص المطهو أو الفاصوليا المسلوقة وكذلك المرق ويترك الخليط على نار هادئة حتى يبدأ بالغليان.

– تتبل الشوربة بالملح والفلفل وجوز الطيب، ويمكن إضافة أرز مطهو أو طهو مكرونة صغيرة في هذه الأثناء.

– عند التقديم تزين الشوربة بالجبن ويمكن إضافة أنواع أخرى من الأعشاب العطرية المفرومة كالريحان أو الزعتر.

يعتبر طبق شوربة المنسترون مثل طبق شوربة الحريرة المغربية. ويمكن صنع العديد منه بنكهات مختلفة بتغيير أنواع الخضار بحسب المواسم المختلفة وكذلك أنواع البقول المستخدمة، ويمكن أن تكون الشوربة باللحم أو بالدجاج أو بكليهما معاً.